فعمدوا، يوم 8 تموز، إلى إعلان الصوم الكامل، والحج، جماعة، إلى جبل الزيتون، بقيادة رجال الدين والقادة العسكريين، وسار الصليبيون، جميعاً، إلى «الجبل المقدس»، وهرع الجند المسلمون إلى الأسواق يشاهدونهم وهم يسخرون. وعلى الجبل، ألقى كل من القديس بطرس الناسك وريموند أجيل (قسيس ريموند) وأرنولف روز (قسيس روبرت النورماندي) عظة ألهب بها عواطف الجند والقادة وحماستهم، فعادوا، وقد نسوا، جميعهم، ما كان بينهم من مشاحنات، ليعملوا، يداً واحدة، في سبيل «تحرير» بيت المقدس[48].

د ـ الهجوم الحاسم، وسقوط القدس
(الجمعة 23 شعبان 492هـ = 15 تموز/ يوليو 1099م):

ـ الاستعداد للهجوم:

درس القادة الصليبيون، خلال الأيام التي تلت حجّهم إلى جبل صهيون، وضع أسوار القدس لكي يقرروا هجومهم عليها من أضعف النقاط فيها، فوجدوا أن القسم الممتد من باب العمود (أو باب دمشق) إلى برج داود (القلعة)، من السور الخارجي، متين ولا يمكن اختراقه، بالإضافة إلى أنه محمي بمختلف آلات الحرب والأسلحة المتوافرة لدى حامية المدينة، وأن القيام بالهجوم على المدينة من خلال هذا القسم لا بد من أن يبوء بالفشل. وكان هؤلاء القادة قد ركّزوا معظم جهدهم على هذا القسم، كما لاحظوا أن القسم الشمالي الشرقي من السور (من باب العمود غرباً حتى باب الساهرة فباب يهوشافاط شرقاً) لا يتمتع بمثل هذه الحصانة، وأنه أضعف أقسام السور حماية، خصوصاً وأن قسماً منه يطل على وادي قدرون وهو الوادي الذي لا يمكن اجتيازه من قبل أي مهاجم، لذلك اهتم المدافعون عن المدينة بتعزيز دفاعاتهم عن القسم الآخر من السور وأهملوا الدفاع عن هذا القسم معتمدين على صعوبة اجتياز وادي قدرون، بل استحالة اجتيازه (وهو الجانب الذي لم تتم محاصرته من قبل الصليبيين)، كما أن الأرض حول باب الساهرة (أو باب هيرودوس) ليست وعرة ولا صعبة

(48) رنسيمان، م. ن. ج 1: 421 ـ 423، والصوري، م. ن. ج 1: 425 ـ 426، و Grousset, Op. Cit., T 1, pp. 156-157.